

الجدار والأرض والكتاب – قصة قصيرة

الأب نقولا وهبة

حدثني جدِّي وقال:

كما عامة الشعب، سمع الأمير وأمه الملكة الأخبار المريعة حول مملكة خينيان، والدمار الهائل الذي لحق بها بعد أن احتلها المتمرد كورفيد التاسع وهدم أسوارها وأحرق البيوت بمن فيها وأخذ بقية الناس عبيداً له وللخوف منه.

وعلى عجل، جمع الأمير مستشاريه وأعوانه بحضور الملكة وسألهم رأيهم، وعن التدابير التي يجب اتخاذها لحماية المملكة من الخطر المحتمل.

قال قائد الجيش: "علينا تقوية جيشنا وزيادة عداد الجند وعتادهم. و.و. وشراء أسلحة جديدة وتدعيم سور المدينة".

أما المستشار فقال: "لا... لا. لا أعتقد أن علينا أن نخاف من كورفيد وجيشه الجرار، فهو بعيدٌ عنا ولن يؤذينا... وإن هاجمنا، لجأنا إلى استرحامه بالهدايا والعبيد". أعجبت فكرة المستشار شهبندر التجار الذين كانوا يخافون توقف تجارتهم وتناقص أرباحهم إذا ما دخلت البلاد في حالة حرب.

وبعد ساعاتٍ من الجدل العقيم ساد عدم الاتفاق. فما كان من الأمير الحائر إلا أن طلب رأي أمه الملكة، التي ما لبثت جالسةً بجانبه، صامتةً مترقبة، بعيونٍ سودٍ يشع منها بريقٌ حادٍ شحذته خبرة السنين.

قالت الملكة: "يا مولاي. إن كل بعيد قريب. وكل طامع خبيث مستعجلٌ القدوم. وكورفيد التاسع المتمرد لم يجهز جيشاً كبيراً ويحشد الدعم من هنا وهناك إلا لكي يستولي على كل الأرض إن استطاع. لذا أخالف بالرأي ههنا حضرة المستشار، وأدعوكم جميعاً لكي نستعد جيداً ونحضر أنفسنا وشعبنا ومملكتنا باجتهادٍ ودون وِجَل".

صرخ قائد الجيش: "نعم، نعم. دعونا نجهز الجيش ونباغته قبل أن يهاجمنا".

"انتظر... انتظر" قال الأمير مستاءً. "انتظر قليلاً لنسمع بقية رأي الملكة. نعم يا أمي، وكيف تعتقدين أن علينا أن نستعد؟"

ابتسمت الملكة إبتسامةً خفرة ونهضت من كرسيها وقالت: "كل ما نحتاجه موجود في هذه الغرفة؟" استغرب الأمير وكافة الحاضرين جواب الملكة، وبدأوا يتلفتون يئمة ويُسرة في أرجاء الصالة الملكية باحثين بعيونهم عما قصدته الملكة.

قاطعت الملكة حيرتهم بعفوية وأشارت بيدها قائلةً: "الجدار والأرض والكتاب".

وجحظت العيون من الاستغراب والدهشة وعدم الفهم. أما الأمير فلمعت عيناه فقال مستدركاً:
"أتقصدين يا صاحبة الجلالة بالجدار أن نقوي دفاعاتنا؟"
"بالصواب أجبتي يا صاحب الجلال والإكرام؛ فالجدار هو درعنا الأول". أردفت الملكة وهي تطأطي
 رأسها باحترام لابنها.
**"أما الأرض فأعني بها الزراعة، فإن حاصرنا العدو فعندها نستطيع أن نصمد لأن الطعام الجيد
 متوفر لدينا".**

"وماذا عن الكتاب؟" سأل مستشار الخارجية ممتعضاً.

"الكتاب هو إيماننا وما استقيناه منه كالأخلاق والفضائل".

"وماذا سنستفيد من الإيمان والأخلاق في زمن الحرب؟" قال المستشار بنوعٍ من السخرية.
 فردت الملكة بحزم: **"لا تسقط الممالك من الخارج. بل لأن البعض في الداخل يفقدون إيمانهم
 ورجاءهم، أو لأن البعض تنحط أخلاقهم فيخونون إخوتهم ووطنهم".**

لنترك قليلاً الآن جدِّي وعالم حكاياته، ونحاول أن نتعلم القليل من حكمة الملكة وبصيرتها.
 فالعالم اليوم مهددٌ بعدوٍ متوحش اسمه ليس كورفيد التاسع بل كوفيد التاسع عشر. وكلُّ بعيدٍ قريب.
 وكل خبيثٍ مستعجلٍ القدوم.

وأمام مواجهته تتعدد الآراء والأفكار والطروحات، ويقع العديد من الناس في حيرة وتشتت.
 فلا الماسك (القناع) الإلزامي يحمي بالضرورة، ولا اللقاح يظهر فعالية أو كفاءة كاملة، ولا تجاهل الأمر
 ينفع. فماذا نفعل وكيف نسلك؟ وخاصة في زمنٍ أصبحت فيه الثقة بالآخرين صعبة، وخاصة تلك
 الزمرة من مدعي العلم أو التدين. فمنهم من يهول ويضخم ويؤثّر الحقائق ويؤخيف الناس. وآخرون
 يماشون التيار لأن لا مبدأ لهم. البعض يبتلع كل ما يُقدّم إليه لأن قاعه فارغ. وغيرهم يتركون السائل
 في حيرة لأنهم جنباء، يخشون إعطاء الأجوبة وتحمل المسؤولية، لأن أجوبتهم نابغة من جفاف
 تربتهم.

وهنا، في خضم هذه الحيرة والجدل بشأن هذا الوباء، هلموا بنا نسترجع كلمات الملكة الحكيمة،
 فلربما تفيدنا في شيء.

الجدار هو درعنا الأول. وهو ما يفصل بيننا وبين أي غازٍ. وهو يشبه إلى حدٍ كبير نظام مناعتنا الصحي.
 علينا أن نعمل بنصيحة الملكة ونحصن مناعتنا بكل ما يلزم من الفيتامينات واللقاحات، ليصمد طويلاً
 في وجه العدو.

الأرض هي جسدنا، الذي هو ترابٌ وإليه يعود. لذا وجب أن تكون تغذيته من جنسه. لنأكل مما تنتجه
 الأرض، ونكتفي بالمفيد والمفيد فقط. لنبتعد عن الدسم والمواد المصنّعة، ونمارس الرياضة ونستنشق

الهواء الطلق. وهنا أنصح - وليس لأني كاهنٌ فقط - بأن نصوم ما أمكن. فالصوم رياضة جسدية وروحية نافعة.

وثالثاً يأتي **الكتاب** أي الإيمان الحقيقي و نعمة الله التي نالها عبر الأسرار المقدسة... فعند الشدة وفي زمن الامتحان يتزكى المؤمنون ويظهرون غالبين كل قلق واضطراب وعموم قوة العدو... ويجوزون بالنار كأنها ندى، ويقبلون الشدة كتدريبات روحية. وإن كان الإيمان حياً صار ثرساً وثيقاً يطفى سهام الشرير الملتهبة. **"فالممالك لا تسقط من الخارج"** هكذا قالت الملكة.

هذه الثقة الفعلية بالرب، والحاضرة معنا في كل مفاصل حياتنا، هي ما جعلنا نضيء في وقت الظلمة والامتحان كأنوار متلائية. فإن كان لا بد من المرض، فبالله أغلب. وإن كان الحَجْر الصحي والإغلاق العام حلاً، فضمن غربة البرية ووحشتها غلب يسوع حيل الشيطان وانتصر. وإن كان اللقاح يجلب لي الحيرة، فثقتني بالذي قال: **"لا أهملك ولا أتركك"** تجعلني أقتبل راضياً ما توصل إليه العلماء بتعبهم، والله بالتأكيد قادرٌ أن ينجيني من كل فخ ومؤامرة إن صحَّ وجودها. فالكتاب يقول: **"الرَّبُّ يُبْطِلُ مُؤَامِرَةَ الْأُمَمِ. يُلَابِثِي أَفْكَارَ الشُّعُوبِ"** (المزامير ٣٣: ١٠).

وإن اعتراني خوف الموت، وتساءلت ماذا سيحل بي ومن ثم بعائلتي؟ فبالإيمان أنقوى وتحت ستر العلي أبيت مطمئناً. فالرب بيده وحده مفاتيح الحياة والموت، وهو الضابط كل شيء في حياتي، ومنجيني من فخاخ الشرير والرافع نفسي إلى المعالي. وبالعودة إلى قصة جدِّي، فكما توقعت الملكة الحكيمة، جال كورفيد المتمرد الأرض كلها ودمر ممالك، وسرق حياة كثيرين من كبار وصغار، وحبس بخوفه أنفاس العامة ... ولم يقف بوجهه أحد، إلا تلك المملكة التي تسلحت بالجدار والأرض والكتاب.

عيد القديسة كاترينا

فينا ٢٥-١١-٢٠٢١